

أضواء البيان

@ 154 .

و (من) في قوله { مِّنَ الرَّحْمَٰنِ } فيها للعلماء وجهان معروفان : أحدهما وعليه اقتصر ابن كثير : أن (من) هي التي بمعنى بدل . وعليه فقوله { مِّنَ الرَّحْمَٰنِ } أي بدل الرحمان ، يعني غيره . وأنشد ابن كثير لذلك قول الراجز : مِّنَ الرَّحْمَٰنِ { أي بدل الرحمان ، يعني غيره . وأنشد ابن كثير لذلك قول الراجز : % (جارية لم تلبس المرققا % ولم تذق من البقول الفستقا) % .

أي لم تذق بدل البقول الفستق . وعلى هذا القول فالآية كقوله تعالى : { أَرَضَيْتُمْ بِالْأَعْيَاقِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ } أي بدلها ونظير ذلك من كلام العرب قول الشاعر . أَرَضَيْتُمْ بِالْأَعْيَاقِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ { أي بدلها ونظير ذلك من كلام العرب قول الشاعر . % (أخذوا المخاض من الفصيل غلبة % ظلما ويكتب للأمير أفلا) % .

يعني أخذوا في الزكاة المخاض من بدل الفصيل . والوجه الثاني أن المعنى { مَن يَكْفُلُكُمْ } أي يحفظكم { مِّنَ الرَّحْمَٰنِ } أي من عذابه وبأسه . وهذا هو الأظهر عندي . ونظيره من القرآن قوله تعالى : { فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ } أي من ينصرنني منه فيدفع عني عذابه . والاستفهام في قوله تعالى : { مَن يَكْفُلُكُمْ } قال أبو حيان في البحر : هو استفهام تفریع وتوبيخ . وهو عندي يحتمل الإنكار والتقرير . فوجه كونه إنكارياً أن المعنى : لا كالداء لكم يحفظكم من عذاب الله البتة إلا الله تعالى . أي فكيف تعبدون غيره . ووجه كونه تقريرياً أنهم إذا قيل لهم : من يكلؤكم ؟ اضطروا إلى أن يقرروا بأن الذي يكلؤهم هو الله . لأنهم يعلمون أنه لا نافع ولا ضار إلا هو تعالى ، ولذلك يخلصون له الدعاء عند الشدائد والكروب ، ولا يدعون معه غيره ، كما قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة (الإسراء) وغيرها . فإذا أقرروا بذلك توجه إليهم التوبيخ والتفريع ، كيف يصرفون حقوق الذي يحفظهم بالله - لا إلى ما لا ينفع ولا يضر . وهذا المعنى الذي أشارت إليه هذه الآية الكريمة : أنه لا أحد يمنع أحداً من عذاب الله ، ولا يحفظه ولا يحرسه من الله ، وأن الحافظ لكل شيء هو الله وحده جاء مبيناً في مواضع أخر . كقوله تعالى : { لَهُ مُعَقِّدَاتُ مِّنْ بَیْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ } مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ { على أظهر التفسيرات ، وقوله تعالى : { قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ

بِكُمْ زَفْعًا { ، وقوله تعالى : { قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ
دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا { ، وقوله تعالى : { قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ
اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ